المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 14-02-2007 العـــدد : 14781
الصفحـات : 18 المسلسل : 124

الطريق من مكة

عبدالمحسن هلال

أؤجل اعتذاري عن النبرة التشاؤمية، وإن كنت أراها مبررة، التي شابت مقالة الأسبوع الماضي بعنوان «الطريق إلى مكة»، جميعنا سعداء أن تمكن الفلسطينيون من التصالح بتوفيق الله وخلوص نيتهم، ثم برعاية وإصرار الملك المصلح عبدالله بن عبدالعزيز، وأن يخرجوا لنا بهذا الإنجاز التاريخي المشرف. غير أنه وكما كان الطريق إلى مكة شائكا محفوفا بالمخاطر، مخاطر عدم الاتفاق، فإن الطريق من مكة المكرمة بعد الاتفاق، سيكون أيضا محفوفا بالمخاطر. مخاطر عدم تنفيذ ما اتفق عليه. وهي مخاطر حقيقية داخلية وخارجية. وسوف يؤرخ للقضية الفلسطينية منذ اليوم بما قبل اتفاق مكة وما بعده، وكما ارتبط تاريخ القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين بتاريخ مكة ثاني القبلتين وأول الحرمين منذ ليلة المعراج، سيرتبط مستقبلهما بعد هذا الاتفاق. ألا يكفي تدليلا على عمق الارتباط بين المدينتين أن علم فلسطين مكي النشأة.

أترك المخاطر الداخلية ولعل افحشها آفة التشرذم التي هي بذرة كل فتنة داخلية، تحت أي عنوان تسربلت فئوية أو طائفية أو حزبية، أتركها آملا أن يكون الاتفاق قد أطفأ لهيبها ولو إلى حين. أود الحديث عما ينتظر الاتفاق الفلسطيني خارجيا أو «دوليا»، وستجدون بعد قليل أن حتى كلمة دوليا يمكن اختصارها لتعني أمريكا وإسرائيل، فهما الدولتان الوحيدتان من بين دول العالم اللتان، في غمرة الاحتفال العالمي بالاتفاق، ذكرتا المتفقين بشروط اللجنة الرباعية، وأهمها الاعتراف بإسرائيل.

كل دول العالم رحبت بالاتفاق، بما فيها الدول الأعضاء في اللجنة الرباعية، إلا اللوبي الصهيو-أمريكي في كل من واشنطن وتل أبيب. انظروا إلى ذكاء إشارة مستشارة ألمانيا، ميركل ما غيرها التي قايضت قبل شهور قلائل موقف بلادها من حرب العراق بالديون

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 14-02-2007 العـــدد : 14781
الصفحـات : 18 المسلسل : 124

الأمريكية، لم تكتف بالقول إن الاتفاق خطوة في الاتجاه الصحيح، كما فعلت دول عدة، تمادت المستشارة إلى لفت الأنظار إلى أنه نبع من داخل المنطقة، أي غير مفروض من جهة اعتادت فرض آرائها في المنطقة. أكثر من هذا لاحظوا تراجع مسز كوندي، وزيرة خارجية أمريكا، عن شروطها بعيد إعلان الاتفاق، إلى التصريح بأنها ستعطي الاتفاق فرصة النجاح.

كل شيء يصبح ممكنا إذا تماسكت الأيادي وعم الوفاق وخلصت النوايا ووجد الكبير القادر على التجميع. وقديما قال أحل مكة: «اللي ما لو كبير يشتري لو كبير».

يكفي تفاؤلا وإشادة باتفاق مكة، جعل الله مكة المكرمة مهوى العقول كما هي دائما مهوى الأفئدة، وساحة حب وسلام ووئام لكل الفرقاء.

آتي الآن إلى أهمية المحافظة على الاتفاق ومقاومة كل الضغوط ضده، وهي ستكون ضغوطا متعاظمة وخطيرة. لا يكفي هنا، مثلا، أن تصدر الجامعة العربية بيان تأييد للاتفاق، يجب أن تسعى الجامعة نحو تفعيله والبناء عليه في المحافل الدولية، ولعلي أذكرها هنا بقرارها الذي جف حبره بكسر الحصار عن الشعب الفلسطيني. بل على كل الدول العربية والإسلامية والصديقة السعي نحو كسر هذا الحصار الظالم ورفع التجويع عن هذا الشعب الأعزل المسلوبة حقوقه الشرعية.

> على الجامعة العربية تفعيل اتفاق مكة والبناء عليه بين دول العالم

قبل تسويق الاتفاق خارجيا يجدر تحصين أعمدته داخليا، مساعدة الشعب الفلسطيني، وهو قيد إسرائيل وشرط اللجنة الرباعية، وهو فرض لا يلزمنا نحن العرب والمسلمين بشيء ونحن نشاهد، ولا يكاد يرف لنا جفن، يوميا سقوط ضحايا التجويع من الأطفال والمرضى وكبار السن، وهم أهلنا وإخوتنا في الدين واللغة والتاريخ والجغرافيا، ويكاد يمر عام كامل على الحصار ولا يكاد يسمع لنا حس.

قبل البدء بحملة علاقات عامة أو حملة دبلوماسية خارجية لتسويق الاتفاق، يجدر أيضا تبيان وتوضيح وقوف كل الدول العربية بالقول والفعل مع هذا الاتفاق ورفض كل الضغوط ضده، وأول الأدلة الفعلية لتأييد الاتفاق هو كسر هذا الحصار الظالم.

تسويق الاتفاق خارجيا لا ينجح بدون تفعيله داخليا، وتفعيله داخل فلسطين ليس مهمة حماس وحدها ولا فتح وحدها ولا كافة الفصائل الفلسطينية، ولا حتى كل الشعب الفلسطيني وحده.

عم تتحدثون أنتم هنا؟ عن أشلاء دولة عاثت إسرائيل فسادا، على مدار نصف قرن، في أرضها وحرثها وفي منظمة تحريرها، وأكملت أمريكا بتسليح إسرائيل بما يفوق قدرة الدول العربية مجتمعة، وبتأييد أممي على مدار نصف القرن هذا، ثم تأتون اليوم بعد اتفاق، ما زال في بداياته مهما قيل عنه، لتتوقعوا نجاح أية حكومة فلسطينية مهما كان توجهها. وليست لديها مقومات وأساسيات البناء والنجاح؟ المال يا سادة هو ما يحتاجه الفلسطينيون، فالاقتصاد منهار والدخول متوقفة والنسبة الكبرى من الفلسطينيين سقطوا تحت خط الفقر إلى خط العوز منذ زمن. بدون تحمل الدول العربية والإسلامية مسؤولياتها الدينية أولا والأخلاقية ثانيا تجاه الحكومة الفلسطينية القادمة فإن الشعب الفلسطيني ذاته قد يسقط، لا قدر الله، بعد أن سقطت قضيته- أو تكاد- من الذاكرة العربية المترفة. وليس الأمر يخص الدولة العربية الرسمية وحسب، بل يخص الشعوب العربية بشكل أكبر، وكما لم يطلب أحد من الدول العربية فتح جبهات القتال، لن يطلب أحد من الجماهير النزول إلى الشوارع للهتاف، المطلوب أبسط من هذا كثيرا: إغاثة الشعب الفلسطيني الجائع، هل في هذا مخالفة لشروط أمريكا لمحاربة الإرهاب، أم أن الإرهاب هو حصار وتجويع شعب آمن؟